بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أتحدث[1] بمناسبة مولد الصديقة الطاهرة فاطمة (ع) عن سورة الكوثر، المفسرون يختلفون في تشخيص معنى الكوثر، الكوثر معناه مبالغة في الكثرة فيفسرونه بالخير الكثير، لكن ما هو مصداق هذا الخير الكثير؟ يذكرون آراء مختلفة، من الآراء أن المقصود بالكوثر هو فاطمة (ع) ولو لم يرد هذا الرأي في رواية، فسورة الكوثر عادة –حسب هذا التفسير– تصبح سورة ذكرت شيئا قد انتهى ولا تحمّل المسلمين أية مسؤولية، أو بتعبير آخر أن هذه السورة المباركة لا تهدينا إلى شيء وإنما تبيّن فقط شيئا قد حصل في ذلك الحين، جملة خبرية (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) جملة إنشائية (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) ثم جملة خبرية أخرى (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)، هذه المشكلة ليست خاصة بهذه السورة، أنتم حينما تقرأون القرآن الكريم وتراجعون تفاسير تجدون أن القرآن بهذه الطريقة لا يهدي، نحن نحاول أن نفهم هذه السورة فهما نهتدي به، وأتحدث بهذا الحديث على أساس أنك راغب في معرفة الدين، لا أنك أنت فقط خصصت هذا الوقت لأن تستمع حديثا عابرا لا تستهدف من ورائه شيئا، أنت أكبر من هذا

ما هو الكوثر؟ هل هو نهر اسمه الكوثر في الجنة؟ أو هو اسم الحوض المعروف للنبي (ص) الذي أمير المؤمنين (ع) يسقي منه المؤمنين في الجنة؟ كيف يسقي؟ كيف..؟ والكثير من كيف وكيف؟! لا نعرف ما تفاصيل ما يحدث في الجنة هل هذا أم ماذا؟

ننطلق من واقع النفوس البشرية ثم نحاول أن نفهم السورة ونفهم الكوثر على ذلك الأساس، الكوثر يعني الخير الكثير، الله عز وجل لم يعيّن ولم يشخص هذا الخير الكثير الذي وعد به رسوله (ص)، وهذا التركيز يعني أن هذا أعظم خير أو من أعظم الخيرات التي الله عز وجل

---

[1] تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله في ظهر يوم الجمعة بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٤٢٥ الموافق ٦-٨-٢٠٠٤، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

وعد بها نبيه (ص)، نحن الآن حسب مقاييس كل واحد منا توجد أشياء نعتبرها خيرا وتوجد أشياء نعتبرها شرا، هذا موجود في حياة كل إنسان، نسعى إلى الخير ونتجنب الشر، والخير كذلك درجات والشر كذلك درجات، شرٌ أكبر من شر، فإذا دار الأمر بين أن يجتنب الشخص هذا الشر أو ذاك الشر فهنالك يجتنب الأكثر شرا، وكذلك الخير فيه خير أكثر من خير، هنا يضحي الإنسان بكثير من الخير حسب مقاييسه، أشياء يحبها يرغب إليها لكن يتنازل عنها لأجل خير أعظم وأهم، هذا موجود في حياة الناس

النبي (ص) بهذا اللحاظ لا يختلف عن الناس فكذلك النبي كان يجد أمورا شرا ويجد أمورا خيرا، يرغب إلى الخير يطلب الخير ويتجنب الشر، لكن الناس يختلفون بلحاظ النظر إلى الخير والشر، معروف حينما يقال فلان الله معطيه خيرا، فماذا يتبادر إلى الذهن؟ المال، فالمال يُنظر إليه أنه هو الخير وأبرز الخيرات، فمثلا قرأت في وقت من الأوقات أن امرأة مغنية تتحدث عن حياتها تقول حاولت وحاولت ولم أنجح إلى أن فتح الله لي باب الخير فنجحت، ومثلا شاب عينه على أن يكون له موقع معين في المجتمع فالخير في نظره هو هذا الموقع، أو شخص يريد أن يتزوج فتاة بمواصفات معينة هذه المواصفات هي الخير في نظره وهكذا، شخص يرى المال خيرا وشخص آخر يرى المال شرا، نظريا من السهل أن شخصا يقول أن المال ليس مهما لكن هو عمليا يتعامل مع المال باعتباره خيرا، لكن في الواقع هنالك بعض الناس يخافون من المال حتى إذا يشتهونه، شخص يشتهي شيئا ولا يراه خيرا، هذا يحصل أو لا؟ يشتهي شيئا ينجذب إليه بشهوته لكن في نفس الوقت في حينها إذا سئل هل هذا الذي تفعله خير؟ يقول: لا، بل شر، هذا موجود لكن هؤلاء قليلون

الآن هذا النمط من الناس موجودون بدرجات مختلفة، يشتهون المال لكن في نفس الوقت يخافون، يتعاملون مع المال –واقعا– باعتباره شرا، الآية التي يذكرها الله عز وجل ينقل كلام موسى ابن عمران (ع) (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ

الْعَذَابَ الأَلِيمَ)[٢]، هل موسى (ع) كان يرى المال شرا أم خيرا؟ القرآن الكريم يقول (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)[٣]

والقرآن الكريم يبين مقاييس الناس (فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)[٤]، (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقولُ رَبِّي أَهانَن)[٥]، يرى نفسه مهانا ويعتبره شرا، هنا يتحول المال والنعمة والكرامة الظاهرية والجاه إلى مقياس، خير الناس أكثرهم مالا، خير الناس أبرزهم مقاما جاها، القرآن اعتبر المال فتنة، في رواية في الكافي (مر رسول الله (ص) براعي إبل فبعث يستسقيه فقال أمّا ما في ضروعها فصبوح الحي –ما يشرب بالغداة– وأمّا ما في آنيتنا فغبوقهم –ما يشرب بالعشي– فقال رسول الله (ص): اللهم أكثر ماله وولده ثم مر براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله (ص) وبعث إليه بشاة وقال هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك، قال فقال رسول الله (ص) اللهم ارزقه الكفاف فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذي ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه؟! فقال رسول الله (ص): إن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى اللهم ارزق محمدا وآل محمد الكفاف)[٦]، إذن الناس لا يختلفون في أن في حياة كل واحد منهم يوجد خير وأخير وشر وأشر بل يختلفون في معرفة الخير والشر

النبي (ص) كان يرى الخير الكثير في ماذا؟ لو استطعنا أن نعرف هذا، هذا يوضح لنا معنى السورة، وكذلك يهدينا –إن شئنا أن نهتدي، إن كنا نفتقد الهدى وكنا نطلب الهدى، هذا شرط رئيسي في القرآن الكريم (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)[٧] هذا شرط– ففي نظرك هل كان النبي (ص) يرغب في هذا الخير الكثير الذي أعطاه الله عز وجل أم لم يكن يرغب فيه؟ هل

---

[٢] (يونس: ٨٨)

[٣] (التغابن: ١٥)

[٤] (الفجر: ١٥)

[٥] (الفجر: ١٦)

[٦] الكافي (٢/١٤٠)

[٧] (القمر: ١٧)

هذا بحاجة إلى استدلال وإثبات أنه (ص) كان يرغب في هذا الخير الكثير؟ وهل النبي (ص) يرغب في شيء لا يعرفه؟ هل يوجد إنسان يرغب في شيء لا يعرفه؟ فإذن كان النبي (ص) يعرف ذلك الخير الكثير، ولذلك على الأكثر لام الكوثر لام عهد يعني الخير المعهود بيني وبينك الذي أنت ترغب فيه وتريده

إذا شخص سألك بأن هذا النبي الذي أنت تشهد بنبوته وتكرر هذه الشهادة ما هو أعظم الأشياء خيرية له في نظرك؟ هل أن يكون له نهر في الجنة؟ أن يكون له حوض في الجنة؟ أن تكثر ذريته كما يذكر بعض المفسرين؟ وأمثال ذلك، أم شيء آخر؟

هنالك مقياس أن أكثر الأشياء خيرية في حياة كل إنسان هو الذي يستهدفه ولأجله يتحمل أكثر ما يتحمل ويضحي أكثر ما يستطيع أن يضحي، هذا تعرفه؟ فهذا الهدف يراه أكثرَ خيرا ولأجله يتنازل عن كثير من الأشياء التي يرغب فيها، هل هذا صحيح أم لا؟ هذا المقياس نطبقه على حياة رسول الله (ص) فأي شيء كان هو أخير وأكثر خيرا بالنسبة له؟ النبي (ص) عانى أم لا؟ تلك المعاناة كانت من أجل هدف أسمى وأعلى، فماذا كان ذلك الهدف حتى يستدعي تلك المعاناة؟

أنا يبدو لي أن أقطع الحديث هنا لأن تفكر أنت لتجيب نفسك وتتعلم، تنمو في قرارة نفسك، ثم لو وجدت إجابة فكر في السورة (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) هل هذه الآية تختص بالنبي (ص) أم كذلك إذا وجدنا هذه الإجابة تصبح الآية تمسّنا نحن بتبع النبي (ص) ولا تقتصر عليه، فالآية تكون مما نزلت علينا كذلك وعلى كل مؤمن، فالآية تصبح آيتك وآية أي إنسان يطلب الهدى

بهذه المناسبة الشريفة نرجو أن يفرج الله عز وجل عنا ويحيي أمرنا ويجعلنا ممن ينتصر به وأن لا يستبدل بنا غيرنا، أرجو أن ينشّط الله عز وجل هذه الهمة التي خلقها فينا وأن تشفعنا الصديقة الطاهرة ويشملنا دعائها الذي ينقل أنها كانت في ليلة جمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وأن نكون نحن من المؤمنين والمؤمنات الذين كان دعاء فاطمة يشملهم، كانت فاطمة (ع) تأمل بهم تنتصر بهم ترجو منهم الخير ونحن إن شاء الله أهل لذلك، والحمد لله رب العالمين